ملامح للثورة الثقافية

هل نستطيع ان ندّعي او نملك ان نحدث ثورة ثقافية في المجتمع العربي ؟ الواقع ان كل ثورة ، ثقافية كانت ام سياسية ام اجتماعية ام اقتصادية ، انما هي حصيلة عوامل متراكمة على سطح كلّ أمة وفي اعماقها ، تشارك فيها الاجيال المتتابعة ، فلا تكون بالتالي الا نتيجة طبيعية لعناصر مختلفة تسهم في خلق « الضرورة » الموضوعية لانبثاق هذه الثورة .

من هنا كان ايماننا عميقا بأن ثورة ثقافية عربية جديدة لا يمكن ان تكون منفصلة عن جميع الثورات العربية السابقة، سواء كتب لهذه الثورات، او لبعضها ، النجاح ام أجهضت، لان المعوّل عليه في هذه الثورات انما هي « البذرة » المكنونة في أعماقها والتي ليس امامها مفرّ من التفتح والاثمار حين تتاح لها الظروف الطبيعية .

ومن هنا ايضا شكّنا بل اتهامنا لكلّ نزعة تنادي بضرورة قيام الثورة انطلاقا من هدم كلّ ما في الماضي وتجاوزه بل ومناقضته .. ومن المؤسف ان هذه النزعة بدأت تذرّ قرنها بعد هزيمة حزيران ١٩٦٧ ، مدّعية ان طريقنا الى النهضة الجديدة يجب ان تكون في خط معاكس للماضي بحجة ان هذا الماضي هو سبب تلك الهزيمة . وتلك الادانة للماضي كلّه ، من غير تحفّظ ولا استثناء ، تتناقض اعمق التناقض مع جدلية التاريخ ومنطق المجتمعات المتطوّرة ، لان الاخفاق مكتوب لكل ثورة تريد ان تبدأ دائما من جديد ، اي من نقطة الصفر ، هادمة مشاركة جميع الاجيال السابقة ، زارعة التعسّف والاعتباط في مقاييس الإنطلاق التي تبنى عليها المجتمعات .

ان نزعة « الرفض » التي تميّز هذا المذهب الجديد قائمة على « ردّ فعل » ، وليس على « فعل » . انها ردّ فعل للهزيمة لا يسع المرء ازاءه الا ان يتساءل عن « الفعل » الحقيقي للتحرّر من هذه الهزيمة. فاذا لم يصمت اصحاب هذا المذهب عن الجواب ، فهم يذهبون يلتمسون « الفعل » من خارج المجتمع الذي يعيشون فيه ، ويريدون ان يفرضوا فعلا مستمدّا من تجارب اجنبية ، من غير ان يدرسوا معطيات المجتمع العربي وظروفه وبناه المختلفة ، ويتدبّروا بالتالي امكان تطبيق هذه التجارب الخارجية ومدى صلاحيتها لمجتمعهم .

وقد لا يكون عجيبا ان يقف أصحاب هذا المذهب موقف التعالي الذي يبلغ احيانا حدّ التحقير والازدراء للشعب الذي يتوجهون اليه ، اذ يتهمونه بالجهل والقصور، ولا يتورّعون عن شتمه بنزعة من التشفي والحقد تتجاوز كل حدّ في طلب الايجاب . ولعلّ هذا يجاري مطلبهم في الثورة الكاسحة التي لا تبقي ولا تذر .. ولكن يفوتهم دون شك ان يتساءلوا عمن عساه يقوم بهذه الثورة المطلوبة ، ويغرب عن بالهم ان شعبا يحتقرون ماضيه ويشتمون تراثه ويرتابون بقدراته سيكون أعجز من ان يقوم بثورة ليس لها جذر في أرضه ولا أصل في أعماقه ، لان هذه الثورة ستكون مفروضة عليه من خارج، او من فوق ، لا يستجيب لدوافعها ولا يحسّ نبضها في عروقه . وهكذا تصبح « الثورة » غير ذات موضوع ، تصبح كلمة ميتة لانها ترفض ان تستمد نسغها من العرق الحقيقي الذي يغذيها .

غير أننا اذ نشير الى هذا الماضي وتراثه ، فليس لكي ننزله منزلة التقديس : ان في هذا التراث الذي نعتزّ به جوانب كثيرة قد بليت واصبح من الضروري تجاوزها. فكما اننا لا نرفض ان نفيد من تراث الامم ومن مذاهبها المتطورة ، ولا سيما المذهب الاشتراكي ، فاننا لا نرفض ان ننتقد ما لم يعد في تراثنا وماضينا يتلاءم وروح التجديد والتحرّر والانطلاق لبناء مجتمعنا الجديد . ولكن يبقى اننا نرفض أن نجتث جذورنا ، وان ننطلق من العماء والخواء بحجة الثورة والتجديد .

من هنا ايماننا بمرتكزات أساسية للثورة الثقافية التي نصبو اليها : ايماننا على الصعيد السياسي والقومي بالوحدة العربية وبأنها المصهر الحقيقي لكلّ الثورات التقدمية ، وايماننا على الصعيد الديني والفلسفي بضرورة تجديد المفاهيم وتطويرها والانطلاق من رحابة العقيدة الدينية وسعة باب الاجتهاد ، لا سيما اذا تذكرنا ان الدين في تاريخنا الخاص كان في معظم احواله ، قوة تحرير وتوحيد ولم يكن « افيونا » للتخدير ، وهذا ما يقرّه كثير من المؤرخين ومن المفكرين الماركسيين المعاصرين امثال جارودي وردنسون ... ولكن هذا لا يحجب عنا ضرورة مراجعة كثير من الاحكام والقواعد على ضوء العلم والمنطق وروح التطوّر .

اما على صعيد الابداع الادبي ، فنحن من الذين يؤمنون بان الانتاج الحديث ، منذ عصر النهضة ، قد حقق منجزات هامة في تاريخنا الفكري ، يجدر بنا ان نستعرضها استعراضا تسجيليا ونقديا ، سواء في ميدان الشعر او الرواية او القصة او المسرح او النقد . وهنا ايضا لا مناص لنا من التبصّر في تحليل كثير من النزعات الفنية التي يزعم اصحابها انهم يريدون بها التجديد ، بينما هي مجلوبة من غير ارضنا ، غير منسجمة مع مقتضيات ثورتنا المنشودة .

أجمل هدية

الحرب العالمية الثانية

بجزئيه

تأليف ريمون كارتيه

منشورات

مكتبة انطوان

شارع الامير بشير

بيروت

قرأت العدد الماضي ...

عهدت رئاسة تحرير « الآداب » في نقد هذا العدد الممتاز من المجلة الى ثلاثة من المفكرين العرب يتناول كل منهم مختلف موضوعات العدد ، بحيث يتضمن العدد القادم ثلاث مقالات تعبر كل منها عن وجهة نظر مستقلة في مجموع مقالات هذا العدد .

وهذه محاولة جديدة في تناول مادة «الآداب» تترك مجالا واسعا لاختلاف وجهات النظر. وستفسح المجلة صدرها أيضا لما يوافيها به القراء من آرائهم حول هذا العدد الممتاز ، حرصا على المزيد من النقاش الحيّ .

« الآداب »

ان الميزان الذي يجب ان نزن به مختلف مظاهر نشاطنا الثقافي الذي يتجه الى ثورة شاملة ، هو ميزان النقد والموضوعية ، وليس ميزان الرفض والسلب والنزق العصبيّ ... واذا جاز لنا في أعقاب حزيران ان نستسلم للغضب ونلعق جروحنا الدامية ، فقد آن لنا ان ننصرف الى معالجة الكارثة بروح من المسؤولية والرصانة يعطي اروع صورة عنها مناضلون منا في الجبهات وفي الارض المحتلة يموتون للدفاع عن شرفنا وعن قيمنا وعن حضارتنا التي لا نستطيع ان نبني حضارة جديدة الا انطلاقا من جذورها .

***

وبعد ، فبهذه الروح من المسؤولية والموضوعية ، حاولنا ان نخطط لهذا العدد الخاص من « الآداب » . وحين جعلنا شعاره « نحو ثورة ثقافية عربية » كنا ندرك المصاعب التي تعترض مثل هذا المشروع الذي يتجاوز اضخم الامكانيات ، ولذلك حرصنا على تضمين الشعار ما يشير الى النزعة التي تحتاج الى تأصيل وتجربة عميقة وطويلة قبل ان تتحقق واقعا جليا .

ومع ذلك ، فقد أصيب التخطيط نفسه الذي كلّفنا عددا من المفكرين العرب بمحاولة معالجة موضوعاته ، اصيب بفجوات عديدة من جراء تخلّف الكثيرين عن القيام بالتزاماتهم لاسباب وجيهة احيانا ، وغير وجيهة اغلب الاحيان .. ولعلّ هذه احدى الآفات التي ينبغي معالجتها لدى المثقفين العرب : ان حسّ المسؤولية يحتاج عندهم الى تعميق ..

غير أننا نرجو ، رغم ذلك كله ، ان نقدّم للقارىء العربي في هذا العدد ما يشير الى الخطوط الكبرى لثورة ثقافية عربية تفتح امامنا الطريق لبناء ركائز متينة لمجتمع متطوّر .

سهيل ادريس